الأغنية الختامية للجوقة عند سوفوكليس

ليلى محمد عبد المنعم

من غير المناسب – في تقديري – تناول الجوقه عند سوفوكليس دون الاشارة الى إعجاب ارسطو بها ، في كتابه فن الشعر ، في قوله " يجب اعتبار الجوقة واحداً من الممثلين ، وجزء من الكل ، وعليها أن تتبارى في العروض المسرحية على نحو ماهي عليه عند سوفوكليس ، وعلى خلاف حالها عند يوربيديس(١).

ونفهم من كلمات أرسطو أن جوقة المأساة المثالية – كما هو شأنها عند سوفوكليس – هي التي يمكن اعتبارها واحدا من الممثلين، وهي التي تشارك في الاحداث دون أن تنفصل عن البنيان الدرامي(٢). وينطبق هذا المفهوم على كل من مقاطع الجوقة الحوارية والغنائية، ففي حوارها يمكن اعتبارها واحدا من الممثلين، وفي اغانيها تتوافر فيها نفس الصفة مادامت اغانيها تتصل بموضوع المأساة دون أن تكون مجرد استطرادات لاقيمة لها (٣).

ويرى " كيركوود " أن هناك عدة اساليب من شأنها اضفاء الطابع الدرامي على الجوقة وجعلها ممثلا من الممثلين و منها ارتباط الجوقة بشخصيات المأساة وحدثها واشتراكها في الحوار مع الشخصيات ، وارتباط اغانيها ببنيان الاحداث وتطوره وتصاعده(٤). وتتصف جوقات مآسي سوفوكليس بمعظم هذه المظاهر ، ولعل هذا هو سر اعجاب ارسطو بها . أما اغاني جوقات مآسي يوربيديس فتفتقر بعضها الى الطابع الدرامي الذي يدعو اليه ارسطو، إذ أن بعضها عبارة عن استطرادات لاتتصل ببنيان احداث المأساة اتصالا مباشرا (٥).

نخلص مما تقدم الى أن جوقة سوفوكليس – بما يتوفر فيها من مواصفات درامية– يمكن النظر اليها بوصفها ممثلا من الممثلين ، وهي نظرة باتت ثابتة لدى جمهور كبير من الدارسين (٦).

غير أن هناك رأيا آخرا في جوقة سوفوكليس ، كان أول من نادى به هو شليجل(٧)، وهو راى لايستمده من كتاب فن الشعر لأرسطو ، وإنما يعبر من خلاله عن وجهة نظره الخاصة في جوقة سوفوكليس، فهو يرى انها المتفرج المثالي الذي يتفاعل مع العمل، اكثر من

الممثل بطبيعة الحال، ومن ثم يستطيع أن ينقل إلينا مغزى المأساة كما يراه . لكن "هلمرايش" يقدم لنا رأيا يختلف قليلا عن رأى " شليجل " إذ يقول ان جوقة سوفوكليس - بوصفها المتفرج المثالى - تنقل الينا مغزى المأساة كما يراه مؤلفها (٨). ويعزى " هيج" الى الجوقة نفس الدور على الرغم من انه يراه ممثلا لا متفرجا (٩). ويقدم "شيللر" وجهة نظر ثالثة فى قوله ان جوقة سوفوكليس- بوصفها متفرجا مثاليا- تمثل الرأى العام (١٠). ولايختلف " وبستر" كثيرا مع ذلك الرأى اذ يقول ان جوقة سوفوكليس - بوصفها متفرجا ناضجا ذا رأى مستقل- تقوم بالحكم على الشخصيات من خلال عرف ، أو مبدأ أو قانون ثابت (١١).

وفى تقديرى أنه يمكن النظر الى جوقة سوفوكليس نظرة تجمع بين الرأيين السابقين، بين اعتبارها ممثلا من الممثلين وبين اعتبارها متفرجا، وذلك بأن نصفها بأنها تمثل المتفرج المتفاعل. ونعنى بذلك أن الجوقة تتفاعل مع احداث المأساة المتغيرة بحيث تتباين آراؤها ومواقفها - فى بعض الاحيان - فى المأساة الواحدة ، ثم تندفع فى غمرة تفاعلها واندماجها الى المشاركة فى الاحداث مثلها مثل الممثل تماما (١٢).

ومن ابرز مايشير الى قيام الجوقة فى مآسى سوفوكليس بالمشاركة فى الاحداث مثلها مثل الممثل تماما ما نجده - على سبيل المثال - فى مأساتى أوديبوس فى كولونوس وفيلوكتيتيس. ففى مأساة اوديبوس فى كولونوس تتقدم الجوقة فى بداية الاحداث تبحث عن الغريب الذى وطأت قدماه أرض اثينا (١٣)، وتستفسر عن شخصيته (١٤)، فلما تعرف انه اوديبوس تتصدى له ولابنتيه وتأمرهم بمغادرة أثينا(١٥). وفيما بعد ينتابها الاشفاق عليهم فتدافع عنهم ضد محاولة كريون القبض عليهم واعادتهم الى طيبة عنوة (١٦). وفى مأساة فيلوكتيتيس تستجيب الجوقة لخطة أوديسيوس الرامية الى الحصول على اسلحة فيلوكتيتيس بالخداع وتبدى حماسا شديدا للقيام بدور فى هذه المؤامرة (١٧). ثم تشترك فى موقف آخر - مع نيوبتوليمس - فى محاولة الاستيلاء على قوس فيلوكتيتيس بالخديعة . (١٨)

ومن اكثر النماذج تعبيرا عن تباين وتغير آراء الجوقة ومواقفها فى مآسى سوفوكليس ما نجده - على سبيل المثال - فى مأساتى انتيجونى واوديبوس ملكا . ففى مأساة انتجونى يختلف موقف الجوقة من حظر دفن جثمان بولينيكيس من وقت الى آخر حسبما يواجهها من مواقف وما يتكشف لها من أمور . فتاره نجد الجوقة تساند الدفن من منطلق دينى (١٩)، وتارة اخرى تقف الى جوار قرار كريون بحظر الدفن من منطلق سلطوى أو سياسى يقضى بطاعة

الحاكم واحترام قوانين الدولة(٢٠)، وتارة ثالثة تعجز عن تحديد موقفها من القضية ولاتدرى هل تنحاز الى مساندة دفن بولينيكس أم حظر دفنه (٢١). واخيرا تتخلص الجوقة من حيرتها فتساند - من منطلق دينى - دفن بولينيكس وتنصح كريون بأن يتنازل عن موقفه حتى لا ينزل به عقاب الآلهه الفادح (٢٢). وكما اختلف موقف جـ انتيجونى من قضية الدفن ، فان نظرتها الى انتيجونى قد اختلفت أيضا من موقف الى آخر . فتارة تتعاطف مع انتيجونى وترى ان عقابها ظلم بين وتدعو الآلهه أن ترحمها (٢٣)، وأن تكافئها على بذل حياتها فى سبيل دفن شقيقها (٢٤)، وتارة اخرى تدين أنتيجونى وتتهمها بالطيش والتهور وحدة الطبع (٢٥).

وفى مأساة أوديبيوس ملكا تأخذ الجوقة موقفين متعارضين من الالهة ونبوءاتها ، فتارة تعبر عن ايمانها الراسخ بقوانين الآلهة الخالدة (٢٦)، وتارة أخرى تنتقل من اليقين الى الشك اذ يساورها شعور بأن الضعف وعدم المصداقية قد بدأ يعترى قوانين الآلهة ونبوءاتها (٢٧). كذلك تأخذ جوقة مأساة أوديبيوس موقفين متعارضين من الملك اوديبيوس ، فتارة نجدها تضع ثقتها الكاملة فيه وتصفه بأنه منقذ المدينة ،(٢٨) وربانها الذى يقودها بمهارة الى بر الامان وقت الخطر ، (٢٩) وتارة اخرى ترى فيه- إثر نزاعه الحاد مع كريون وتوجيه الاتهامات اليه - نموذجا للتسلط والطغيان ،(٣٠) وتارة ثالثة يتأرجح موقفها منه بين تصديق ماقاله العراف بشأن اوديبيوس الملك وبين حسن ظنها به ، ولاتملك الا أن تنتظر الدليل الذى سيقطع الشك باليقين (٣١).

يقودنا ماتقدم الى الموضوع الرئيسى لهذا البحث . فمادامت جوقة سوفوكليس ، بوصفها المتفرج المتفاعل ، تمر بمواقف متغيرة طوال أحداث المأساة، وأن رأيها فيها يختلف من موقف الى آخر - كما رأينا - فانه من المتوقع أن ينمو هذا الرأى مع تراكم الاحداث حتى يصل الى ذروته فى اغنيتها الختامية ، فإلى أى حد يمكن القول أن أغنية الجوقة الختامية عند سوفوكليس تعبر عن مضمون المأساة . هناك رأى يقول أن سوفوكليس يلخص وجهة نظره فى القصة من خلال أغنية الجوقة الختامية ، وأن تلك الأغنية شأن غيرها من اغنيات مآسى سوفوكليس ليست مجرد فاصل غنائى يمكن نقله من موضعه الى موضع آخر فى المأساة او الى أى مأساة اخرى (٣٢). ويجدر بنا قبل الحكم على هذا الرأى - إتفاقا او اختلافا معه - أن نتناول بالعرض والتحليل اغنيات الجوقة الختامية فى مآسى سوفوكليس (٣٣).

قبل أن تقترب احداث مأساة " آياس " من نهايتها يصدر قرار من منيلاوس وأجاممنون بحظر دفن جثمان آياس ، فاذا بأوديسيوس ينجح فى إثناء اجاممنون عن قراره . وينتهى الامر بدفن أياس بينما تشدو الجوقة بفضيلة الحكمة والرشد فى اغنيتها الختامية .

ἦ πολλὰ βροτοῖς ἔστιν ἰδοῦσιν
γνῶναι· πρὶν ἰδεῖν δ' οὐδεὶς μάντις
τῶν μελλόντων, ὅ τι πράξει. (٣٤)

بالتأمل تصبح الحكمة عند البشر شيئا عظيما
أما المعرفة المسبقة باحداث المستقبل (الغيب) .
فما من عرّاف سيملك من امرها شيئا

كذلك قبل أن تقترب احداث مأساة انتيجونى من نهايتها يتراجع كريون عن قرار حظر دفن بولينيكيس وسجن انتيجونى ، ومع ذلك فانه لم يتفاد وقوع مأساته المتمثلة فى انتحار ابنه وزوجته . وبينما ينعى كريون حظه البائس – فى نهاية المأساة – تأخذ الجوقة فى التغنى بالحكمة فى اغنيتها الختامية :

πολλῷ τὸ φρονεῖν εὐδαιμονίας
πρῶτον ὑπάρχει· χρὴ δὲ τά γ' εἰς θεοὺς
μηδὲν ἀσεπτεῖν· μεγάλοι δὲ λόγοι
μεγάλας πληγὰς τῶν ὑπεραύχων
ἀποτίσαντες
γήρᾳ τὸ φρονεῖν ἐδίδαξαν. (٣٥)

تشكل الحكمة – الى حد بعيد – الركن الاول من السعادة
ومن الواجب عدم ارتكاب اخطاء تجاه الآلهة
أما الألفاظ الغلاظ
التى تصدر عن المتغطرسين فإن نوازل شديدة
ستصيبهم بها الآلهة
واخيراً ستلقنهم الحكمة عند تقدم العمر

ولعله من المناسب - من وجهة نظرى - أن نتناول بالتحليل أغنية الجوقة الختامية فى كل من مأساتى آياس وانتيجونى فى وقت واحد وذلك لأن المأساتين تشتركان فى تناول موضوع واحد هو قرار حظر دفن جثمان وتنتهيان بالعدول عنه وبأغنية تشيد بالحكمة والرشد. فاذا أمعنا النظر فى كلمات الاغنيتين وجدنا أنها لاتخرج عن كونها كلمات حكمية عامة تصلح أن تكون نهاية فى أى مأساة من مآسى سوفوكليس باعتبار أن الحكمة هى الموضوع الرئيسى الذى تعالجه مآسيه . فالدعوة الى التحلى بالحكمة هى مركز اهتمام سوفوكليس فى كل اعماله ؛ فهو يرى أن الحماقة μωρία تجعل الانسان ينجرف عن جادة الصواب وينزلق الى الخطيئة(٣٦)، أما الحكمة فهى التى تسود دائما (٣٧)، وهى مصدر سعادة البشر ، وهى هبة إلهية تجنب الإنسان الزلل والضلال (٣٨). فإذا كان الأمر كذلك فانه يمكن نقل اغنية الجوقة الختامية من موضعها فى مأساة " آياس " الى مأساة " انتيجونى " لتصبح اغنيتها الختامية ، والعكس بالعكس ، دون أن نشعر بأى خلل فى المضمون أو فى البناء الدرامى .

على أن الحكمة التى تشدو بها الجوقة فى نهاية مأساتىآياس وانتيجيونى لاتخرج عن كونها الإطار الفكرى العام ، لكنها لاتنقل إلينا بصورة محددة وجهة نظر سوفوكليس الخاصة أو وجهة النظر العامة فى مواقف الشخصيات الرئيسية من القضية الاساسية فى هاتين المأساتين . فنحن لانستطيع أن نتبين من الأغنية الختامية فى مأساة آياس - دون النظر الى العمل بأكمله - ان كانت الجوقة تشدو بالحكمة حتى تلقى الضوء على حماقة " آياس " ، أم هى تشيد برجاحة عقل اوديسيوس لإيمانه بضرورة دفن آياس واقناعه اجاممنون بالعدول عن قرار حظر دفنه ، أم هى تشيد بحصافة اجاممنون وإتزانه لأنه لم يشعر بحرج فى العدول عن قراره الخاطئ ، أم بكل هذه الأشياء معاً.

والشئ نفسه يمكن أن يقال عن اغنية الجوقة الختامية فى مأساة انتجونى حيث لاتشير كلماتها بشكل قاطع ان كانت انتجونى بعيدة عن الحكمة أم متحلية بها حينما دفنت شقيقها بولينيكيس متحدية قرار كريون بحظر دفنه . ومن ناحية اخرى فانها لاتقطع بأن كريون كان احمق حينما قرر حظر الدفن ، وأنه كان حكيما حينما عدل عن قراره استجابة لنصيحة تريسياس . وفى عبارة اخرى فان اغنية الجوقة - هنا - لاتقطع بأن المأساة هى مأساة انتيجونى ، أم كريون ، أم الاثنين معاً .

ومادامت الاغنية الختامية فى مأساتى " أياس" و " انتيجونى " لاتخرج عن كونها كلمات حكمية عامة تتفق مع الاطار الفكرى العام لمسرح سوفوكليس وهو الدعوة للحكمة فانه لايمكن الجزم بخصوعسية كل منهما ، وبالتالى لاضير من وضع إحداهما موضع الأخرى. ومن هنا فان أيا منهما لايعبر عن وجهة نظر سوفوكليس فى احدى المأساتين بشكل محدد وخاصة ان حديث سوفوكليس عن الحكمة لاينصب على شخصية بعينها من بين شخصيات أخرى ، ربما تكون حكمتها موضع اعتبار ، أو مثار جدال .

وبعد هذه المناقشة لأغنية الجوقة الختامية فى ماساتى " أياس " و " انتجونى " ننتقل الى تناول باقى مآسى سوفوكليس . ففى نهاية احداث مأساة " اوديبوس فى كولونوس " مثلا يحظى اوديبوس ، الذى عصفت به المصائب والكوارث فى حياته ، بالتكريم بعد موته ، لذلك فان جوقة المأساة تحاول التخفيف عن إحساس بناته بفاجعة فقدانه عندما تخاطبهن فى اغنيتها الاخيرة قائلة :

ἀλλ' ἀποπαύετε μηδ' ἐπὶ πλείω

θρῆνον ἐγείρετε·

πάντως γὰρ ἔχει τάδε κῦρος. (٣٩)

أكففن الآن ، ولا

تطلقن نواحاً بلا هوادة ،

فإن الاحداث بكاملها قد صارت حقيقة لاريب فيها

ولعله من الواضح – بما لايدع مجالاً للشك – أن كلمات هذه الاغنية هى مجرد دعوة لنفض الحزن وهدوء النفس ورضاها ، وهى دعوة تصلح أن تأخذ مكانها فى أى أغنية ختامية لأية مأساة سواء عند سوفوكليس أو غيره . فبعد أن تمر شخصيات المأساة بتجارب مؤلمة تثير فى نفوس المشاهدين مشاعر مختلفة من شفقة وخوف وغيرهما يكون من المناسب للجميع ان يخلدوا الى الراحة والهدوء والسكينة فى نهاية الاحداث . ومن ناحية اخرى ، فان تلك الاغنية الختامية لاتنقل الينا رؤية سوفوكليس فى مأساة " اوديبوس فى كولونوس " لأن كلماتها خالية من أى تقييم للعمل أو شخصياته ، بل هى – كما اسلفته مجرد دعوة الى نبذ الحزن .

وفى مأساة " فيلوكتيتيس " تبوء كل محالولات " نيوبتوليموس " فى اقناع " فيلوكتيتيس " بالرحيل الى طروادة بالفشل الذريع . وهنا يظهر " هيراكليس " فى نهاية الاحداث ، وينصحه بالرحيل ليشفى من جميع آلامه ، ويحظى بالمجد والتكريم فلا يملك " فيلوكتيتيس " إلا أن ينصاع له فتأخذ الجوقة فى ترديد اغنيتها الختامية قائلة :

χωρῶμεν δὴ πάντες ἀολλεῖς,
νύμφαις ἁλίαισιν ἐπευξάμενοι
νόστου σωτῆρας ἱκέσθαι. (٤٠)

هيا نصلى الآن اجمعين
نتضرع الى الحوريات السابحات فى البحر
أن تجئن إلينا لتكن مرشداتنا فى عودتنا (الى طروادة)

ولعل مايربط هذه الاغنية بأحداث المأساة هو موضوع الرحيل الى طرواده الذى تتركز حوله كل مواقف شخصيات المأساة على اختلافها . ومع ذلك فان هذه الاغنية – بصورتها تلك يمكن استخدامها فى أية مأساة يدور موضوعها حول الرحيل الى طروادة سواء عند سوفوكليس أو غيره . ومن ناحية اخرى ، فان هذه الاغنية خالية مما يعبر عن رؤية سوفوكليس فى تلك المأساة وشخصياتها .

وعندما توشك احداث مأساة إليكترا على النهاية تكون كليتمنسترا قد لاقت مصرعها على يد ابنها اورستيس ، ويكون ايجيسثوس – عشيقها ومغتصب عرش ابيه اجاممنون – فى طريقه الى الموت ، بينما تعبر الجوقة عن فرحتها بقصاص اورستيس لمليكها أجاممنون قائلة :

ὦ σπέρμ' Ἀτρέως, ὡς πολλὰ παθὸν
δι' ἐλευθερίας μόλις ἐξῆλθες
τῇ νῦν ὁρμῇ τελεωθέν. (٤١)

أى ذرية آتريوس ، بعد معاناة شديدة
قد بلغت أخيرا الحرية
التى تحققت اليوم فى هذا النزال .

في العصر الحاضر للأمة العربية هو الذي يجعل هدفه خلق أمة أو بعثها شريطة أن يحقق هذا الوصف في نفسه أولاً»[1].

وقال في مناسبة أخرى (1950) إنه «الحركة التي تستطيع أن تسيطر على الطريق وهذا يعني أن كل ما يجري في بلاد العرب وكل ما ينشأ فيها ويظهر من أحزاب وتكتلات وقوى سياسية تتصف بالصفة المعاكسة»[2]. وإنه يتلخص بكلمة الانقلاب[3]. وقال في 1955: «نحن حزب سياسي، لا جدال في ذلك، ولكن السياسة وسيلة... فالسياسة هي أكثر الأمور جدية في المرحلة الحاضرة... وليس معنى هذا أن السياسة غايتنا، السياسة هي امتحان لمثاليتنا»[4].

وجاء في كتاب «التنظيم والتربية الحزبية» (1971) وجوب وجود خمسة شروط لتحويل التجمع السياسي إلى مؤسسة حزبية حديثة هي: وجود الايديولوجية، الوجود الجماهيري. الطليعة المنظمة، الشكل التنظيمي، الالتزام. ولخص مفهوم البعث بـ: الايديولوجية الثورية، القاعدة الشعبية، الجيل الثوري الجديد، النظرية التنظيمية، الاحتراف الثوري[5].

ورأى الحزب التقدمي الاشتراكي في ميثاقه (1949) الحزب «وجهة نظر في الحياة على اطلاقها: سياسية واجتماعية وروحية» و«الأحزاب أجزاء وأعضاء ضرورية في تطور حياة الشعوب، ولكن عليها أن تتنزه، أي أن تتصوف بحيث تنصهر فيها الأفراد والجماعات على أساس فكرة اعتقادية واعية مجردة... فالأحزاب، من هذه الناحية، ينبغي أن تكون أشبه شيء بالهيئات والمؤسسات والجماعات العلمية أو الروحية الكبرى... ومن فكرة هذه المؤسسات ونزعتها في التزكية لعمل ما، إنها تستبعد كل غاية من ورائها، سوى التضحية والنفع العام وخير المجتمع والبشرية عامة.

وفي هذا وحده الأساس الصالح لقيام حزب حقيقي ليس يستصنع الناس فيه للتسخير الخادع»[6].

وكرر جنبلاط هذا الرأي في العديد من محاضراته وأضاف إن المعنى العادي للأحزاب، بكل أسف هو الوصول فقط لأجل تحقيق بعض قضايا عامة أو خاصة، أما

(1) ميشيل عفلق، في سبيل البعث، دار الطليعة ـ بيروت، ط 15، 1975، ص 56.
(2) المصدر نفسه، ص 27.
(3) المصدر نفسه، ص 61.
(4) المصدر نفسه، ص 42.
(5) حزب البعث العربي الاشتراكي، في التنظيم والتربية الحزبية، دار الطليعة ـ بيروت، 1971، ص 14-18.
(6) ميثاق الحزب التقدمي الاشتراكي، ص 19.

في المعنى الصحيح «فالحزب عليه مهمة التوجيه والارتفاع بالمواطن فوق ما هو عليه. فليس هو المجتمع الذي يسعى للرقي ولكن هم الأفراد»[1].

ويظهر من مقدمة برنامج الحزب الشيوعي اللبناني والمقرر في مؤتمره الثاني (1968) تحديد للحزب الشيوعي يمكن أن نستشف منه تعريفاً للحزب بشكل عام ف «الحزب الشيوعي هو حزب العمال والفلاحين وجماهير الكادحين والمثقفين الثوريين... وهدف الحزب تحويل المجتمع تحويلاً ثورياً إلى الاشتراكية وبناء المجتمع الاشتراكي، مسترشداً في سبيله إلى هذا الهدف بنظرية الاشتراكية العملية الماركسية اللينينية... والحزب يتوجه بنشاطه السياسي والفكري ـ بالدرجة الأولى ـ لتنظيم الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والكادحين.... والحزب بكونه المعبر عن الأماني الوطنية وبكونه قوة سياسية طليعية في النضال لانتزاع الاستقلال الوطني وصيانته، يناضل بحزم لتحقيق الاستقلال الاقتصادي وإسقاط الطغمة المالية وتصفية التبعية للاستعمار الجديد... وإن الحزب يقاوم بحزم كل دعوة ترمي إلى إبعاد لبنان عن المجموعة العربية... ويؤكد الصلة الوثقى بين نضال شعبنا ونضالات الشغيلة والشعوب الأخرى... ويحرص بثبات على التزام الخط العام للحركة الشيوعية العالمية وعلى الأمانة الدائمة للصداقة وروح الآخاء بينه وبين الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي»[2].

II
نشأة الأحزاب السياسية

تعددت الآراء في نشأة الأحزاب السياسية وانقسمت إلى رأيين بارزين: رأي قال بقدم الأحزاب ورأي قال بحداثة الأحزاب[3]. وانطلق الرأيان من جو فكري واحد هو الثقافة الغربية وتجربة أوروبا وامتداداتها كمرتكز يعتمدان عليه وكمعيار يصنفان على أساسه دون الأخذ، في الغالب، بالتجارب غير الأوروبية في الأزمنة القديمة والحديثة.

أولاً: رأي النشأة القديمة:

أورد أصحاب الرأي الأول (الأحزاب قديمة قدم المجتمع البشري) مبررات عديدة لدعم وجهة نظرهم.

(1) كمال جنبلاط في حديث تلفزيوني، الانباء، 1961/4/14.

(2) نضال الحزب الشيوعي اللبناني من خلال وثائقه، الجزء الأول، منشورات الحزب الشيوعي اللبناني ـ 1971، ص 11-13.

(3) الشافعي أبو راس، التنظيمات السياسية...، م.س، ص 21.

فالاستاذ بلونتسشلي رأى أن الأحزاب السياسية وجدت خلال التاريخ، عندما نما نشاط إنساني للناس وللسلطة. وغابت حيث يسود حياد سلبي لكل الناس ذوي العلاقة أو حيث يمنع الضغط الاستبدادي الناس من التعبير(1).

وقال الاستاذ لورانس لوويل: «إنّ الإنسان لا يستطيع أن يتحرر من تأثير الأفكار المنظمة والتي تشكل آراءه بدون معرفته وهي واحدة من أقوى التأثيرات على عضوية الانسان في الجسم المنظم للبشرية. وإنها أول وأعمق النزعات في الطبيعة الانسانية، إنها جزء من نزعة الانضمام للجماعة التي تجعل الانسان مخلوقاً اجتماعياً ومدنياً بدلاً عن حيوان معزول. وهي الرابطة التي تربط أكثر القبائل وحشية وعندما تظهر في صورة ولاء للوطن نسميها وطنية»(2).

وقال برأي شابه فينتون Fenton إذا اعاد جذور الأحزاب السياسية إلى بدء النضال البشري ضد السلطة ومن أجلها(3).

وتبنى د. متولي وجهة النظر هذه ورأى:

1 ـ إنّ وجود الأحزاب ضرورة تقضي بها طبيعة النفس البشرية، فالحزب ما هو إلا جماعة من الجماعات المنظمة، وإن نزعة حب الانضمام أو الانضواء تحت لواء إحدى هذه الجماعات هي إحدى نزعات بل غرائز النفس البشرية.

2 ـ إن قيام الأحزاب ضرورة تقضي بها طبيعة الأنظمة الديمقراطية(4).

وأورد الشافعي أبو راس مبررات أصحاب هذا الرأي وهي:

1) إن الإنسان اجتماعي بطبعه.

2) إنّه ما قام مجتمع قط إلا وانقسم أفراده إلى فئة حاكمة وأفراد محكومين وبالتالي لا بد للمحكومين من التجمع في تنظيمات تجمعهم.

3) إنّ صاحب المنصب يحاول الدفاع عن بقائه فيه في وجه منافسيه، فيميز مصلحته أولاً، ويعرف المصالح الأخرى التي يصح أن تتجمع حول مصلحته ويحاول إيجاد مذهب يتفق مع أغراض هذه الجماعة كي يؤلف تنظيماً.

4) إنّ هناك قاعدة طبيعية تقول: إن المرء قليل بنفسه كثير باخوانه.

5) إنّ الناس منقسمون نفسياً إلى أربع فئات: رجعيين، محافظين، أحرار، متطرفين.

---

(1) John J. Lalor (ed.), Cyclopaedia of political science Ibid., p.98.

(2) A. Lawerece Lawell, public opinion and popular Goverment, Longmony. N.Y, 1926, p.76.

(3) John H. Fenton, people and parties in politics, Scott, Foresman, 1967, p.2.

(4) د. عبد الحميد متولي، الحريات العامة، منشأة المعارف ـ الاسكندرية، 1975، ص 153، وقد سبق أن قال بذلك في كتابه ازمة الانئظمة الديمقراطية، العام1954، ص 82-83.

6) إنّه دراسة الفكر السياسي في أولى مراحله تظهر وجود منظمات سياسية كانت تتصارع في اثينا القديمة.

7) إنّ هناك مجتمعات حارب زعماؤها وجود الأحزاب وما لبثت أن عادت إلى أصلها الطبيعي (مثل الولايات المتحدة أيام جفرسون العام 1800 والثورة الفرنسية في العام 1789) مما يدل على أن وجود الأحزاب طبيعي ويتفق مع الغرائز الانسانية[1].

ثانياً: رأي النشأة الحديثة:

أما أصحاب الرأي الآخر (حداثة الأحزاب)، وهم الغالبية بين الباحثين المعاصرين في الأحزاب السياسية، فربطوا نشأة الأحزاب السياسية بقيام المجتمعات الصناعية وبقيام البرلمانات وما استتبع ذلك من توسع في حق الانتخابات وقد تفاوتت آرائهم في موعد هذه النشأة ومكانها من جهة وفي أسباب هذه النشأة من جهة ثانية.

وبرغم أقرار بعضهم بوجود أحزاب قبل هذا العصر، فإنهم رأوا تشابه هذه الأحزاب مع أحزاب اليوم بالاسم (ديفرجيه) وأن دورها سلبي ومدمر (سارتوي) أو أنها قليلة العدد (بلوندال).

وقد أعاد برايس Bryce ـ 1927 ـ نشأة الأحزاب السياسية إلى الأيام الأولى للحكومة القومية في الولايات المتحدة الأميركية وقد برزت الرئاسة الرابعة 1800 م وهي إحدى اسهامات ثلاثة قدمتها الولايات المتحدة إلى علم السياسة[2].

ورأى كي Key - 1942 ـ نمو الأحزاب مترافقاً مع نمو الأفكار الديمقراطية إذ قوضت القديم وحملت الطبقات الميسورة إلى الحكم مع دعم فكرة حق الشعب في الحكم. فقلما طلبت السلطات، قديماً، رأى المحكومين أو مشاركتهم. وحدد الرئيس الأمريكي، جفرسون، أول من نمى التنظيم الحزبي ليسمي المرشحين ولينظم دعم الناخبين خلال ازدهار الديمقراطية في العامين 1793 و 1794، وذلك تعبيراً عن كرهه للفيدراليين وللارستقراطيين وعن صداقته لفرنسا[3].

واعتبر ديفرجيه ـ 1951، نشأة الأحزاب بالمعنى العصري تعود إلى العام 1850 باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التي تعود نشأة الأحزاب فيها إلى فترة اسبق، مع أنه يقر بوجود أحزاب منذ أيام الجمهوريات القديمة لكنه يرى أنها تشابه أحزاب اليوم

---

(1) د. الشافعي ابو راس، التنظيمات السياسية، م.س، ص 23-25.

(2) James Bryce, Modern Democracies, V.II, the Macmillan Company, 1927, p.30.

(3) V.O. Key (ed.), political parties & pressure groubs, Harvard University, U.S.A., 5 the dition, 1969 (Ist edition 1942), pp. 201-202.

بالاسم فقط ومرد التشابه أنها تلعب نفس الدور وهو الاستيلاء على السلطة[1].

ورأى ماكدونالد ـ 1955 ـ أن الأحزاب السياسية وجدت في البلدان حيث المشاركة الشعبية الانتخابية في العملية أعظم وحيث الشؤون الحكومية أكثر تميزاً عن الشؤون غير الحكومية والخاصة، وأنها وجدت في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية[2].

وأعاد نيومان ـ 1956 ـ بداية الأحزاب السياسية الحديثة إلى نمو البرلمان فكانت بدايتها في بريطانيا في ثورة القرن السابع عشر وفي فرنسا في عهد الثورة الكبرى وفي ألمانيا في العام (1848 [3].

وحدد صموئيل بيير ـ 1956 ـ إصلاح العام 1832 في بريطانيا بداية أحزاب الوجهاء إذ برز حزبا «المحافظين» و«الأحرار» واستمرا حتى اصلاح العام 1867 حين حصل تغير أساسي باعادة تنظيم الحزبين وتوسيع العضوية[4].

ورأى لا بالومبرا ووينر ـ 1966 ـ أن الحزب السياسي يوجد عندما تبلغ نشاطات النظام السياسي درجة محددة من التعقيد أو عندما تصبح فكرة السلطة السياسية متضمنة وجوب مشاركة العموم، سواء أكانت من موقع ايديولوجي أو من موقع عملي. واعتبرا الزمر cliques والنوادي ومجموعات الوجهاء التي تعود نشأتها إلى القرن 17 في بريطانيا وإلى الثورة الكبرى في فرنسا سلفاً للأحزاب وتلتقي معها في خاصة أساسية هي ممارسة السلطة السياسية[5].

وحدد شامبرز Chambers ـ 1966 ـ نشأة الأحزاب الأميركية في العام 1790 [6].

وعدد ماكريدس Macridis ـ 1967 ـ خمس مراحل لنمو الأحزاب في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية معتبراً أن بداية القرن التاسع عشر هي بداية المرحلة الأولى التي ترافق نمو الأحزاب فيها مع نمو الحكومة التمثيلية. وهي تختلف عن الأحزاب في الأمم الأخرى التي أصبحت منشئة المؤسسات والاجراءات وحتى منشأة الأمم[7].

---

(1) موريس ديفرجيه، الأحزاب السياسية، تعريب على مقلد وعبد الحسن سعد، دار النهار ـ بيروت ـ 1977، ص 6. (الطبعة الفرنسية الأولى ـ 1951).

(2) Neil A. McDonold, the study of political parties, op. cit., p.3.

(3) Sigmund Neumann (ed.,) Mordern political parties, op. cit., pp. 395-396.

(4) Ibid., p. 12-13.

(5) La palombara & weiner, (ed.) political parties..., op. cit., pp.3-4,6.

(6) Roy C. Macridis, political parties, Harper Forchbooks, NewYork & London, Ist edition, 1967, p 5.

(7) Giovanni Sartori, parties and party systems, op.cit., pp.3,13.